

موضوعات إسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس (٣٣): الإخلاص.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٤-٠٩-٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

معرفة حقيقة الدين لنسعد به :

أيها الأخوة، إتماماً لموضوع البارحة من أن حقيقة الدين ينبغي أن نعرفها بشكل دقيق كي نسعد بهذا الدين؛ أذكر لكم مثلاً ذكرته سابقاً: النشاط التجاري فيه آلاف الفروع؛ مثلاً شراء مكتب، شراء مستودعات، مراسلات، مندوبو مبيعات، تحصيل ديون، دعاية، محاسبة ... مئات النشاطات..... إلخ، كل هذا النشاط يهدف إلى شيء واحد هو الربح، فإن لم يكن هناك ربح لا معنى لكل هذه النشاطات إطلاقاً.

الآن الدين؛ حضور دروس علم، حضور خطب جمعة، مطالعات دينية، أذكار صباحية، إطعام المساكين، العناية بالأيتام، إكرام الأرملة، إسعاف المحتاجين، كل هذه النشاطات إن لم توصلك إلى الله لا معنى لها، هناك دنيا ضمن الدين، الإمام الجليل عبد الله بن المبارك دخل إلى المسجد فرأى جموعاً بأعداد كبيرة؛ قال: يارب لا تحبني عنك بهم، و لا تحبهم عنك بي. الأصل هو الله عز وجل، الأصل الإخلاص إلى الله، الأصل مناجاة الله، الأصل أن تسعد بالله، فكل النشاط الديني إن لم يوصلك إلى الله عز وجل لا ينفع... لكن ما الذي يحصل؟ إنسان له زي ديني مثلاً، له تمتات، سلوك قريب من سلوك الأولياء - وهو ليس كذلك - الناس يصدقونه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((نَاعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ جَلَّهِمْ لَنَا؟ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمَنْ جَلَدْتَكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

إذا الإنسان ممكن بذكائه أن يفتن الناس أنه صاحب دين، وهو ليس كذلك؛ معك كيلو معدن، بذكاء بارع أقنعت الناس أنه ذهب فصدقوك؛ لكنك الخاسر الأول، لو كان معك كيلو ذهب حقيقة، وظن الناس أنه معدن خسيس؛ أنت الرابح الأول؛ علاقتك مع نفسك، سعادتك منك، و شقاؤك منك:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ
وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة النساء: ١٤٢]

الدين معاملة :

أنا أقول لكم أيها الأخوة توفيراً للوقت: تعاهد قلبك، انتبه، نواياك، عباداتك، أحوالك مع الله، اتصالك بالله، فهمك للقرآن، إخلاصك في العمل، هذا كله أساسي في الدين، أما هناك نشاطات أخرى فيها وجهة، وفيها مكانة، وفيها سمعة، والآن هناك سلوك سبحانه الله! المسلمون يكيلون لبعضهم البعض المديح الذي لا يعقل؛ سيدنا أنت أكبر ولي، وأنت أكبر عالم، ألا نكون خداماً لك؟
كله كلام فارغ.

فيا أيها الأخوة؛ نريد أن نكسب أعمارنا، و أن نكسب الوقت، وأن نعلم أن الله عز وجل:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

[سورة غافر: ١٩]

ترك دائق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام ، والله لأن أمشي مع أخ في حاجته
خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجدي هذا .

الإسلام عملي؛ رأى النبي إنساناً لا يعمل لكنه يصلي طوال الوقت، قال: من يطعمك؟ قال: أخي.
قال: أخوك أعبد منك. الإسلام عمل، الإسلام كسب رزق، الإسلام يد عليا، الإسلام كرامة،
الإسلام رأس مرفوع، الإسلام إيجابية لا سلبية، الإسلام:

((المسلم الذي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهِمُ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى
أَدَاهِمُ))

[الترمذي عن يحيى بن وثاب]

أي هنا نفهم العبادة فهماً حقيقياً، أنك إذا آمنت بالله إيماناً حقيقياً، وعملت للدار الآخرة؛ كل
أعمالك وحركاتك وسكناتك التي وفق منهج الله عبادة؛ عباداتك عبادات، بينما المنافق عاداته
سيئات؛ لأنه يراني بها؛ قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

[سورة الحديد: ١٦]

أي ألم يأن الأوان أن تتعامل مع الواحد الديان معاملة مباشرة؛ أن تصدقه، أن تخلص له، أن
تطيعه، أن تخدم عباده، ألا تعش إنساناً ولو كان غير مسلم، ألا تأخذ ما ليس لك، هذا هو الدين؛
الدين معاملات، العبادات أساسية لكنها لا تقبل إلا إن صحت المعاملات.

فيا أيها الأخوة الكرام، مشكلة المسلمين اليوم فهموا الدين فهماً شعائرياً، مثلاً هناك نساء يعملن في الفن، و يرتكبن أفبح المعاصي و الآثام، ويصلين: يارب توفقني. كيف الناس فصلوا الدين عن السلوك؟ فصلوا الدين؛ الدين أن تصلي فقط، أما ماذا تعمل؟ كيف تكسب رزقك حلالاً أو حراماً؟ بطاعة؟ بمعصية؟ بكذب؟ باحتيال؟ بدجل؟ العبرة أن تأخذ المال و أن تصلي، تقريباً الدين ليس من باب المبالغة خمسمئة ألف بند، لذلك ترى المسلمين كثر لكن الألف منهم كأف، أف ما قيمته؟ و كان أصحاب النبي الواحد منهم كألف؛ هل تصدقون أن سيدنا خالد رضي الله عنه كان في الفتح وفي غزوة خطيرة جداً - وأظنها نهاوند- أرسل لسيدنا الصديق يطلب المدد، يطلب خمسين ألف مقاتل، بعد حين جاء المدد؛ جاء رجل واحد اسمه القعقاع ومعه الكتاب، قال له: أين المدد؟! قال له: أنا المدد؟ أمسك كتاباً؛ قرأه: من عبد الله إلى سيف الله خالد؛ أحمد الله إليك يا خالد، لا تعجبني أنني أرسلت لك واحداً؛ والذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم. واحداً! طلب خمسين ألفاً، المؤمن شخصية كبيرة جداً، المؤمن موفق، طاقاته مفتوحة على السماء، مؤيد، منصور، لكن كن لي كما أريد أكن لك كم تريد، كن لي كما أريد و لا تعلمني بما يصلحك ، ورد في بعض الآثار القدسية أن الله عز وجل يقول: " عبيد خلقت لك السموات والأرض ولم أعي بخلقهن؛ أفيعيني رغيه أسوقه لك كل حين، لي عليك فريضة و لك علي رزق، فإذا خالفتني قي فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي؛ إن لم ترض بما قسمته لك؛ فلاسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك - و لا أبالي - وكننت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتهك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد" و يقول أيضاً في بعض الآثار القدسية:

((قال له سيدنا موسى: يارب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إليّ تقى القلب، نقى اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني وأحب من أحبني، وحبيني إلى خلقي، قال: يا رب، إنك تعلم أنني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلتي، ونعمائي، وبلاتي))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

ورد أيضاً في الأثر القدسي:

((ليس كل مصلٍ يصلي؛ إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي. وعزتي وجلالي؛ إن نور وجهه أضوأ عندي من نور الشمس؛ على أن أجعل الجهالة له

حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، يسألني فأعطيه، يقسم علي فأبره، أكأله بقربي، و
استحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يمس ثمرها، ولا يتغير حالها))

[من كنز العمال عن حارثة بن وهبة]

أي إنك إن عرفت الله؛ عرفت كل شيء، إنك إن وصلت إلى الله وصلت إلى كل شيء، ما فاتك شيء: " ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدته وجدته كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء" لذلك كان بعضهم يقول : يارب ماذا فقد من وجدك؟ و ماذا وجد من فقدك؟

الإسلام منهج متكامل متوازن :

إنسان استكثر على كلية إسلامية أن تحدث درجة دكتوراه؛ فقال: أنتم نبيكم أمي لا تحتاجون لمثل هذه الشهادة. فأجابه عميد الكلية: ولكنه يوحى إليه. أي أكبر عالم علمه أرضي أما النبي فمن علمه؟ علمه شديد القوى. فنحن معنا الوحي، الوحي لا يخطئ، أثن شيء معنا وحي السماء، معنا منهج لا يمكن أن يقع الإنسان في خطأ لو طبقه، منهج متوازن، متكامل، واقعي، روحي، دنيوي، أخروي، أخلاقي، هكذا منهجنا، فقال تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٤٣]

لا تبحث عن حل لمشكلتك إلا ضمن الوحي، من هم أهل الذكر؟ الذين يعرفون الوحي؛ أي يفهمون القرآن، ويفهمون بيان النبي للقرآن، الله عز وجل أمر النبي أن يبين للناس ما نزل إليهم، فيمكن أن تكون كل أحاديث رسول الله بياناً للقرآن الكريم؛ النبي ما ترك تفسيراً؛ كل أحاديثه تفسير لكتاب الله، نحن معنا وحي، هناك كلييات، ومعنا سنة قولية، وعملية، وإقرارية، ووصفية فيها تفصيلات، ما إن تمسكتم بهما - الكتاب والسنة - فلن تضلوا بعدي أبداً:

((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ))

[الموطأ عن مالك بن أنس]

العاقل من راجع حساباته قبل أن يأتيه الأجل :

فيا أيها الأخوة حتى الواحد لا تأخذه زحمة العمل، ومشاغل الحياة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة المنافقون: ٩]

يجب أن يقف مع نفسه من يوم لآخر، يراجع حساباته، وهذا يسمونه الآن ترتيب الأوراق الداخلية؛ اجلس مع نفسك نصف ساعة، أين أنا؟ أين كنت؟ أعندي مشكلة؟ أعندي دخل حرام؟ أعندي بالبيت مخالفة إسلامية؟ هل لي علاقات غير صحيحة؟ اعمل مراجعات، قال سيدنا عمر: تعاهد قلبك.

هل قلبك موصول بالله؟ هل تشعر بإخلاص لله أم تشعر بنفاق؟ هذا الذي أتمنى أن تكون، وأنا والله أخاطب نفسي معكم، أنا ما من مرة خاطبت إخواني بشيء وأنا أحسن الظن بنفسي، أخاطبكم وأخاطب نفسي، وقد تأثرت بكلمة قالها سيدنا عمر بن عبد العزيز خاطب بعض أصحابه قال: والله ما أعلم أحداً أكثر ذنباً مني، هكذا قال سيدنا عمر، أي ليس القصد أنتم وحدكم بل وأنا معكم، والله أنا أعظ نفسي وأعظكم.

والحمد لله رب العالمين